أمركم، فقد ابتليتُ بكم وابتليتم بي، فما أدري السُخطة عليّ دُونَكُم أو عَلَيكُمْ دُوني، أو قد عَمَّتْنِي وَعَمَّتْكُمْ، فَهَلُمُّوا فَلْنَدْعُ اللّهَ؛ يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنّا المَحلَ، قال: فرُئي عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى، وبكى الناس ملياً، ثم نزل.

وأخرج أحمد (١/ ٤٤) عن أبي عثمان النُهديّ قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس، فقال في خطبته: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أَخْوَفَ ما أخافُ على هٰذِهِ الأُمّةِ كُلّ مُنافِقٍ عَلِيمِ اللّسانِ». وقد تقدمت خطبات عمر في باب اجتماع الكلمة واتحاد الأحكام.

خطبات أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن سعد (٣/ ٦٢) عن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزوميّ: أنّ عثمان رضي الله عنه لما بويع خرج إلى الناس، فخطبهم فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنّ أوّلَ مركب صعبٍ، وإنّ بَعْدَ اليوم أيّاماً، وإنّ أَعِشْ تأتِكُمْ الخطبة على وَجْهِها، وما كنّا خُطَباء وسيعلّمنا الله.

وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ٣٠٥) من طريق سَيْف عن بدر بن عثمان عن عمه، قال: لمّا بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدُّ كآبةً[1]، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ ﷺ، وقال: إنّكُمْ في دار قلعة[2]، وفي بقية أعمار، فَبَادِرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه؛ فلقد أُتيتم، صبحتم أو مسيتم، ألا وإنّ الدنيا طُوِيَتْ على الغُرورِ، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ﴾[3] اعتبروا بمن مضى، ثم جدّوا، ولا تغفلوا، فإنه لا يغفلُ عنكم. أينَ أبناءُ الدنيا وإخوانُها الذين أثاروها وعمروها وَمَتَّعُوا بها طويلاً؟! ألم تَلْفِظْهُمْ؟! ارمُوا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإنّ الله قد ضرب لها مثلاً؛ وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ الحياة الدنيا كماء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ ـ إلى قوله ـ أملاً﴾[4] وأقبل الناس يبايعونه.

---

(١) «الكآبة»: تغير النفس بالانكسار من شدة الهمّ والحزن.

(٢) «قلعة»: تحوّل وارتحال.

(٣) [٣١/ سورة لقمان/ ٣٣].

(٤) [١٨/ سورة الكهف/ ٤٥ ـ ٤٦].

وأخرج ابن جرير أيضاً في تاريخه (٣/ ٤٤٦) بإسناد فيه سَيْف عن عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع، فقال: أمّا بعدُ فإنّي قد حُمِّلْتُ وقد قبلت، ألا وإني مُتَّبِعٌ ولست بمبتدع، ألا وإنّ لكم عليّ بَعْدَ كتابِ الله عزّ وَجَلّ، وَسُنّةِ نبيِّهِ ﷺ ثلاثاً: اتّباعَ من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وَسَنَنْتُمْ، وَسنّ سنة أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن ملأ، والكفّ عنكم إلا فيما استوجبتم، ألا وإنّ الدنيا خضرة قد شُهِّيَتْ إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تَثِقُوا بها، فإنّها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

خطب متفرقة له رضي الله عنه

أخرج الدينَوري في المجالسة وابن عساكر عن مجاهد قال: خطب عثمان بن عفان، فقال في خطبته: ابنَ آدم، اعلم أنّ ملك الموت الذي وُكِّلَ بك لم يَزَلْ يخلُفك، ويتخطّى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تخطّى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرك واستعدَّ له، ولا تغفلْ فإنه لا يغفلُ عنك، واعلم ابنَ آدم إنْ غَفِلْتَ عن نفسك ولم تستعدَّ لم يستعدّ لها غيرك، ولا بدّ من لقاء الله فخذ لنفسك، ولا تَكِلْها إلى غيرك، والسلام. كذا في الكنز (٨/ ١٠٩).

وأخرج الدينَوري وابن عساكر عن الحسن: أنّ عثمان بن عفان خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس اتقوا الله، فإنّ تَقْوَى اللّهِ غُنْمٌ، وإنّ أكيس الكيس من دانَ نَفْسَهُ، وعمل لما بعد الموت، واكتسبَ من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخشَ عبدٌ أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً، وقد يكفي الحكيمُ جوامعُ الكلم، وَالأَصَمّ ينادي من مكان بعيد، واعلموا أنّ من كان الله معه لم يَخَفْ شيئاً، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟ كذا في الكنز (٨/ ٢٢٤).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: رأيتُ عثمان على المنبر قال: أيها الناسُ، اتّقوا الله في هذه السرائر؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وَالّذِي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ، ما عَمِلَ أَحَدٌ عملاً قَطُّ سِرّاً إلاّ أَلْبَسَهُ الله رِدَاءَهُ عَلاَنِيَةً، إنْ خَيراً فَخَيْرٌ وَإنْ شَرّاً فَشَرٌّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿ورياشا ـ ولم يقل ـ وريشاً ـ ولباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ﴾[1] قال: السّمت الحسن. كذا في الكنز (٢/ ١٣٧).

وأخرج أحمد والبزار والمَروزي والشاشي وأبو يَعْلى وسعيد بن منصور عن عبّاد بن

(١) [٧/ سورة الأعراف/ ٢٦].

زاهر، قال: **سمعتُ عثمان يخطب فقال: إنَّا ـ واللهِ ـ قد صَحِبْنَا رسولَ الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعودُ مرضانا، ويُشَيِّعُ جنائزنا، ويغزو معنا، ويُوَاسِينا بالقليل والكثير؛ وإنَّ ناساً يعلمونني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط.** كذا في الكنز (٤/ ٤٤). قال الهيثمي (٧/ ٢٢٨) رواه أحمد وأبو يعلى[١] في الكبير وزاد: **فقال له أغيَنُ[٢] ابن امرأة الفرزدق: يا نَعْثَلُ[٣] إنكَ قد بَدَّلْتَ، فقال: من هذا؟ فقالوا: أغيَن، فقال: بل أنتَ أيها العبد، قال: فوثَبَ الناس إلى أغين، قال: وجعل رجلٌ من بني ليث يَزَعهُمْ[٤] عنه حتى أدخله داره.** ورجالهما رجال الصحيح غير عبّاد بن زاهر وهو ثقة ـ انتهى.

وأخرج الشافعي والبيهقي (٨/ ٩) عن مالك عن عمه أبي سهيل ابن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان يقول في خطبته: **لا تكلِّفوا الصغيرَ الكسبَ؛ فإنكم متى كلفتموه الكسب سَرَقَ، ولا تكلِّفوا الأمة غيرَ ذاتِ الصنعة الكسبَ؛ فإنكم إن كلَّفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفُّوا إذ أعَفَّكُمْ الله، وعليكم من المطاعم بما طابَ منها.** قال البيهقي: ورفعه بعضهم عن عثمان من حديث الثوري؛ ورَفْعُه ضعيف. كذا في الكنز (٥/ ٤٧).

وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول: **يا أيها الناسُ إياكم والميسر ـ يريد النردَ ـ فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت ناسٍ منكم، فمن كان في بيته فَلْيَحْرِقْها أو يَكْسِرْها،** وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: **يا أيُها الناسُ إني قد كلَّمتكم في هذا النرد، ولم أركم قد أخرجتموها، فلقد هَمَمْتُ أن آمرَ بِحُزَمِ الحطبِ، ثم أرسل إلى بيوت الذي هنَّ في بيوتهم فأحرقها عليهم.** كذا في الكنز (٧/ ٣٣٤).

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد: **أن عثمان بن عفان أتمَّ الصلاة بمنى، ثم خطب الناس، فقال: أيُها الناسُ إن السُّنَّةَ سُنَّةُ رسول الله ﷺ، وسُنَّةُ صاحبيه؛ ولكن حدث العام من الناس؛ فخفت أن تستنّوا.** كذا في الكنز (٤/ ٢٣٩).

وأخرج ابن عساكر عن قتيبة بن مسلم قال: **خطبنا الحجاج بن يوسف، فذكر القبر، فما زال يقول: إنه بيت الوحدة، وبيت الغربة ـ حتى بكى وأبكى من حوله، ثم قال:**

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: الطبراني.

(٢) هو أغيَنُ بن ضُبَيْعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن تميم الدارمي ثم المجاشعي، أرسله علي، لقتال عبد الله بن الحضرمي الذي خرج إلى البصرة ليملكها بأمر من معاوية فقتل هناك سنة ثمان وثلاثين. «أسد الغابة» (١/ ١٢٤).

(٣) كان أعداء عثمان يسمُّونه نعثلاً تشبيهاً برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل.

(٤) «يزعهم»: أي يمنعهم.

سمعتُ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعتُ مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان، فقال في خطبته: ما نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى قبر وذكره إلا بكى. كذا في الكنز (٨/ ١٠٩).

وأخرج أحمد (١/ ٦٢) عن سعيد بن المسيّب قال: سمعتُ عثمان يخطب على المنبر وهو يقول: كنتُ أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم بنو قَيْنُقَاع[١] فأبيعه بربح، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «يا عثمانُ إذا اشْتَرَيتَ فاكْتَلْ، وَإذا بِعْتَ فَكِلْ». وأخرج أحمد (١/ ٧٢) عن الحسن قال: شهدتُ عثمان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام.

آخر خطبة له رضي الله عنه

وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ٤٤٦) من طريق سَيْف عن بدر بن عثمان عن عمّه قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: إنَّ الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا[٢] إليها، إنَّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تَبْطِرَنَّكُمْ[٣] الفانية ولا تشغلَنَّكُمْ عن الباقية، فآثِروا ما يبقى على ما يفنى، فإنّ الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، اتقوا الله جلّ وعزّ؛ فإنّ تقواه جُنَّةٌ من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً ﴿واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٤] وقد تقدّم ما قالَ عثمان في خطبة في فضل الحرس في سبيل الله في باب الجهاد.

خطبات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

أول خطبة له رضي الله عنه

أخرج ابن جرير في تاريخه (٣/ ٤٥٧) بإسناد فيه سَيْف عن عليّ بن الحسين: أول خطبة خطبها عليٌّ رضي الله عنه حين استخلفَ، حمدَ الله وأثنى عليه، فقال: إنَّ الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بَيَّنَ فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعُوا الشر، الفرائض أدُّوها إلى

---

(١) «قينقاع»: بالفتح ثم السكون، وهو اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة أضيف إليهم سوق كان بها ويقال سوق بني قينقاع. «معجم البلدان» (٤/ ٤٢٤).

(٢) «التركنوا»: رَكَنَ إلى الشيء يَرْكَنُ رَكناً وركوناً، أي مال إليه وسكن، وركن إلى الدنيا إذا مال إليها. «لسان العرب» (١٣/ ١٨٥).

(٣) «تبطرنكم»: البَطَرُ: الطغيان في النعمة. «لسان العرب» (٤/ ٦٨).

(٤) [٣/ سورة آل عمران/ ١٠٣].